أُمَّتِي.. إِلَى أَيْنَ؟

بِقَلَمِ:

أَبِي مُعَاذٍ العِرَاقِي



١٤٣٩ هـ | ٢٠١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان.. في قديم الزمان، في سالف العصر والأوان، أمةً أعزها الله بالإسلام فأصبحت سيدة الأمم وثقيلة القَدَم، وكان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، عربًا وعجمًا تسود بينهم المحبة الإيمانية، اختلفوا في الأشكال واللغات والثقافات واجتمعوا تحت راية "لا إلٰه إلا الله".

كان.. لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وكان الحب في الله بين المسلمين له مذاق وطعم خاص يميزهم عن غيرهم من الأمم المفككة المنسلخة عن القيم والمبادئ التي يأكل قويها ضعيفها.

كان.. إذا ما اعتُدِيَ على امرأة مسلمة ولو كانت في أقصى بقاع الأرض، سُيِّرت لنصرتها والثأر لعرضها جيوش مجيشة وسُلَّتِ السيوف من أغمادها وأهريقت الدماء، وما قصة المعتصم والجيش الذي سيره لنصرة تلك المرأة بعمورية التي صرخت: «وامعتصماه» عنكم ببعيد[1] وغيرها من عشرات القصص مثيلاتها.

---

[1] قيل أن رجلًا قَدِمَ للمعتصم ناقلًا له حادثة شاهدها قائلًا: يا أمير المؤمنين، كنت بعمورية فرأيت امرأة عربية في السوق مهيبة جليلة تسحل إلى السجن فصاحت في لهفة: «وامعتصماه وامعتصماه» فأرسل المعتصم رسالة إلى أمير عمورية قائلًا له: «من أمير المؤمنين إلى كلب الروم أخرج المرأة من السجن وإلا أتيتك بجيش بدايته عندك ونهايته عندي». فلم يستجب الأمير الرومي فانطلق المعتصم بجيشه ليستعد لمحاصرة عمورية فمضى إليها، فلما استعصت عليه قال: «اجعلو النار في المجانيق وارموا الحصون رميًا متتابعًا» ففعلوا، فاستسلمت ودخل المعتصم عمورية فبحث عن المرأة فَلَمَّا حضرت قال لها: «هل أجابك المعتصم؟» قالت: «نعم».

وكان المسلم يمشي في كل مكان سيدًا كريمًا مهابًا مرفوع الرأس محفوظ الكرامة لا تتجرأ عليه فئة إلا وتؤدب ولا تمتد إليه يد سوء إلا وتقطع.

يـا أمـة الإســلام كنـتِ عزيزةً　　　بـالأمس لم تقفي على الأعتـابِ
ســافرتِ في درب الجهاد كريمة　　　وطويت بالإيمان كل صـعــــاب

حتى جاء المستعمرون الحاقدون الحاسدون الطامعون؛ بتواطؤ المنافقين، فلوثوا نقاء الهواء وعكروا صفاء الماء، وإذا بالأمة تصحوا من ذلك الحلم الجميل على صيحات الخراب والدمار الذي تسبب به الإستعمار.

فعملوا -أي الاستعمار- على تقسيم الدولة الكبيرة إلى دويلات صغيرة وإيهام الناس بقدسية تراب هذه الدويلات والولاء والبراء الذي يجب أن يعقد في هذا التراب وبغض ومعاداة من تجاوز حدود تلك الدويلات التي رسموها، وكان ذلك بالفعل.

أما المنابر التي كانت تحرض على حز رؤوس الكافرين والجهاد في سبيل الله، استدار الزمان وأصبحت تحذر من الجهاد بل وتصفه بـ"الإرهاب" وتصف أهله بالخوارج المارقين التكفيريين، وذلك طبعًا بحسب رغبات وتوصيات الصليبي المستعمر.

لقد باتت الأمة تنحدر كل يوم نحو الأسوأ، حتى انسلخ المنتسبون إلى الإسلام عن أكثر مبادئ الإسلام وقِيَمِّه، وعبدوا كومة تراب "صنم" أتى بها المستعمرون فأسموها الوطن فصار الواحد منهم يقدم ذلك الصنم "الوطن" على الإسلام، فتجده يستنكف ويرفض بشدة أن يُنسب إلى الإسلام ويرفض أن يُفصح في

الإجتماعات والإحتفالات والمجالس عن ديانته أهو مسلم أم نصراني أم يهودي ويحب أن ينسب إلى ذلك الصنم فيسمى بالعراقي أو الكويتي أو السعودي أو المصري أو المغربي... إلخ.

وذلك لأن عقائد الإسلام فَرَّقت بينهم وبين بقية الكفار وفرضت عليه بغضهم وعداوتهم والإنعزال عنهم أما الصنم الذي يُدعى بالوطن فقد جمعهم جميعًا تحت عبادته وأحل لهم من خلال دستوره جميع ما حرم الإسلام عليهم من شرك وكفر وزنا وخمر وميسر وربا واختلاط وسفور... إلخ.

فضاعت كل معالم العز والمجد، وهدم المنتسبون للإسلام مع المستعمرين ما بناه الأولون من صرح عظيم وأضاعوا هويتهم الإسلامية ونسوا التاريخ الذي كتبت سطوره بدماء الصحابة والتابعين ومن جاء من بعدهم من القادة والعلماء والصالحين، حتى أصبحت الأمة أمة مهلهلة ممزقة لا يُرتجى منها خيرًا، تركت الجهاد في سبيل الله، وأخلدت إلى الأرض، ورضيت بملذات الحياة الدنيا من الآخرة، وأقبلت على الشهوات والمعاصي والكفريات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ضاعت بلاد المسلمين بلُجَّةٍ ... كسفينة تاهَت بلا ركبان
فتمزقت وتفرقت وتَصرمت ... وغدت بلا عِز ولا سُلطان
وغدت أراضيْها وطهر ترابها ... حقلًا لأهل الكُفر والأوثان

ابتعدت الأمة عن دينها ومنهجها، وعن هدي نبيها محمد ﷺ وأصبحت على موائد اللئام وعلى أعتاب دول الصليب تتسول، لعلهم يشفقوا عليها فليقوا لها عظمًا كالكلاب.

هجرت قرآنًا يُسيرها ويحميها من عوامل الزمان وصراع الحضارات، دخلت ذلك الصراع بلا أدنى إيمان، دخلت الصراع بأفكار مستوردة من هنا وهناك فكانت ضعيفة هشة مهلهلة طرية تتقاذفها أَرْجُل الأستعمار، فبحثت عن سبل غير سبيل الله والرسول، وسلمت زمام أمرها للقوميين والوطنيين والليبراليين والشيوعيين والعلمانيين، وأولادِ الزُناة، فتاهت وضاعت في وسط الطريق.

ثم فجأةً... بدأ الأمل يلوحِ في الأفق! وشعاع ضعيف بدأ ينبثق بعدما انطفأ النور وملأت الظلمة المكان! وإذا به ضوء الفرج يبشرنا بأن نواة الخلافة قد تأسست في العراق وقامت دولة للإسلام والمسلمين في بلاد الرافدين، دولة أقامت الشرع وطبقت الحدود وصار فيها الدين كله لله!!

ثم توسعت رقعتها أكثر فأكثر حتى شملت الشام ثم أعلن متحدثها الرسمي بعد اجتماع مجلس شوراها عن قيام الخلافة الإسلامية!!!

نعم، إنها الخلافة التي لطالما سكبنا الدموع شوقًا إليها قد عادت!! فكبرنا وهللنا وحمدنا الله وسجدنا له شكرًا ولسان حالنا يقول:

عُودُوا بِنَـا لِسَـــمَاحَةِ الدِّينِ الَّذِي   كُنَّـــا بِـــهِ فِـــي عِـــزَّةٍ وَصِـــيَانِ
عُودُوا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى   أَسْـــلافُكُمْ فِـــي سَـــالِفِ الأَزْمَـــانِ

إلا أن المنتسبين إلى الإسلام في هذا الوقت كانوا قد استمرأوا الذل وارتضوا الهوان واستطابوا الكفر واستلذوا المعاصي والمنكرات وانتكست فطرتهم وبغضوا الشريعة وأحكامها التي يجدون فيها من الثقل عليهم ما يجدون وعباد الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فما كان منهم إلا أن وقفوا في

صف الصليبيين ضد الإسلام والمسلمين! واصفين الأحكام التي وردت في القرآن والسنة بالرجعية والتخلف والجهل والإرهاب والتطرف والغلو...!

فاستبدل المنتسبون صراحةً وعلانيةً الكفر بالإيمان والعز بالذل والآخرة بالدنيا فوقفوا في صف أمريكا وروسيا واليهود ودُمَّاهُم العربية ضد الإسلام والمطبقين لأحكامه!

بل البعض منهم قالها أمام الملأ: «بعض الأحكام الشرعية تحتاج إلى إعادة نظر وهي بحاجة إلى تعديل»، وبعضهم قال: «مصطلحات الولاء والبراء والتكفير لا تناسب هذا العصر الحديث»!

حتى أصبح الموحدون الذين خارجِ أرض الخلافة في غربة شديدة، مُحَارَبون منبوذون من قِبَل تلك المجتمعات التي روضها الإستعمار على الذل والعبودية وأرضعها كهنته وسحرته الضلال والانحراف، وزين الشيطان لهم المعاصي والشهوات، فأصبح لا هَمَّ لهم سوى الكروش والفروجِ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم.

ولكن.. لازال الأمل لم يُفقد بعد، فعسى الله أن ينصر دينه ويُعلي كلمته بهذه الثلة القليلة التي اجتمع عليها القريب والغريب من الناس، وعسى أن يعود العز ومجد الأجداد.

عســـى يعود لنا ماض به ازدهرت　　كل الدُّنا واهتدى من نوره البشـر
على أساس الهدى كانت مدائننا　　وفي ســـبيل العلا لم يثننا ســـفر

اسأل **الله** أن يهدي من ضل من المسلمين وأن يرزقنا الفقه في الدين وأن يفرج عنا وعن إخواننا المجاهدين وأن يرزقهم العزة والتمكين وأن يوحد الكلمة على التوحيد والسنة وأن يدحر أعدائنا الكافرين ويرد عنا كيد الكائدين، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد **لله** رب العالمين.